البستان

« في الميزان »

—«»—

البستان معجم عربي وضعه الشيخ اللغوي عبد الله البستاني ، لنتداوله ايدي المحققين عند احتياجهم الى مراجعة بعض الألفاظ الضادية ، وقد قرظته بعض الجرائد والمجلات ، ونسي النقدة انهم قد اوتمنوا على لغة آبائهم ، وحفظها من الفساد وان لا ينظروا الى لوجوه ولا الى الصداقة ، ولا الى كل شيء يفكك عرى هذا اللسان البديع البنـاء المحكم الأركان . على اننا كنا قد نقدنا بعض النقد المجلد الاول من هذا الديوان ليكون المجلد الثاني أتقن تأليفاً وأسد انشاءً وذلك في مجلتنا لغة العرب (٦ : ٦٨ ومايليها) وظن بعضهم ان في الحوباء حوبةً ، تبرئة لمديحهم المكيل كيلاً ، اذ غايتهم غير الغرض الذي رمينا او نرمي اليه . وقد أشرنا الى مافي الجزء الثاني من الأوهام اشارة قابس نار في مجلتنا ايضاً (لغة العرب ٩ : ٥٠٣) لكن ذلك غير واف بالغرض ، اذ لم نتعرض لهذه التفلية الا كمن يمر بالديار راكب القطار ، او ناقل الأخبار على أجنحة البرق خاطف الابصار .

والآن أردنا ان نعيد نظرة ثانية في هذا المجلد الثاني ، ليعلم الواقف على هذا المقال ان هذا الديوان الجديد مفسدة للغة العربية ، ولكلام كل من ينقل عنه ، او يقتبس منه . والدليل : انك لا تجد فيه صفحة واحدة سالمة من عدة أغلاط . ولو كانت قليلة و يسيرة وخفيفة لهان الامر واحتقر ، لكنها مخلة بالمعنى والمبنى ، فاقتضى التنبيه على أمثلة منها ، لتجلي الحقيقة بصورتها الواضحة ، وتزول اللائمة من صدور بعض الثقات الاثبات ، الذين يتوخون الصدق في جميع شؤونهم .

الصفحة الاولى من هذا المعجم هي نصف صفحة على الحقيقة ، وقد طالعناها بتؤدة ، فلم نر فيها خلالاً مميزة لها دون غيرها ، فقد بالغ بعض الكتبة في اعلاء شأن هذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتاب ، مبالغةً مخالفةً لكل واقع . والذي ثابتناه ان هذا المعجم نسخة ثالثة من محيط المحيط ، (والثانية هي أقرب الموارد كما قلناه مراراً) ، والأغلاط الواردة في الأم ، واردة بعينها في الابنة معزيادة . نعم قد أصلح الشيخ عبد الله بعض هفوات محيط المحيط ، الا انه عوّض عنها باوهام شنيعة ، كرّهت المطالع ان ينعم النظر في ما حرره قلمه . ونحن نذكر لك بعض الأمثلة .

جاء في اول باب الضاد : « قال ابو منصور الثعثع الصدفة » وهي عبارة التاج . لكن الوارد في الشرح (اي التاج) هو من خطإ الطبع . والصواب : الثعثع الصدف ، كما في لسان العرب ، والثعثعة : الصدفة . اي صواب التعبير ان يفسر المفرد بالمفرد ، والجمع بالجمع على ماهو معهود .

وقال : « الضوبان كقربان السمين الشديد من الجمال » ولم يذكر جمعه ، لان سائر الدواوين لم تذكره . الا ان التاج ذكره في مادة ض و ب : واحده كجمعه سواء . وهذا يجب ان يعرف ، لان المعاجم وضعت لمثل هذه الامور .

وفيها : « المضوُد المزكوم » والصواب المضؤود بواوين الاولى مهموزة والثانية ساكنة ، لان المضؤود على المفعول . وفي هذا اللفظ خمسة أحرف ، فيجب ان يكون في الموزون خمسة أحرف ايضاً ، كما هو فعل بنفسه حينما قال في ضأك «مضؤوك» .

وقال « وضأز فلاناً ، بخسه ومنعه » — والصواب ضأز فلاناً حقه بخسه ومنعه .

وفي تلك الصفحة « الضُؤضؤ كهدهد والضِئْضِئُ كجرجر ، والضِئْضِيُ كجرجير والضُؤْضُؤ كسُرسُور وضيضأ كضفدع ، الاصل ... » والصواب وضِئْضأ كضفدع . لكن المؤلف اتبع رسم الكلمة على ماجاء في التاج المطبوع الكثير اغلاط الطبع . والصواب ان تثبت الهمزة الاولى الواقعة بعد الضاد الاولى ، لان اللفظ مهموز الثاني والرابع . وقد نبه على ذلك صاحب مد القاموس . — ثم ان اتخاذه (جرجراً) ميزاناً له فقد اتبع فيه صاحب القاموس . والذي كان يجب عليه ان يتخذ ميزاناً له لفظاً مشهوراً بين الخاصة والعامة . اي يقول كجعفر او كسبسب كما فعله القاموس نفسه ، في جميع المواطن الشبيهة لهذا الحرف . اما المشهور في وزن جَرْجر ففتح الجيمين . نعم ان الجِرْجِر بكسر الجيمين وارد ايضاً ، ومعناه غير المعنى المفتوحيهما ، بيد أن المعهود في الجرجر عند جميع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الناس هو فتح الجيمين ، وبمعنى آخر ، وهو ماتداس به الكدس من آلات الزراعة . فكان يحسن بالشيخ ان يتخذ اللاحب من الطرق لا المندرس منها .

وقال في تلك الصفحة : وفي خطبة ابي طالب « الحمد لله الذي جعلنا من ضِئْضِيءِ مَعَدّ وعُنْصُر مُضَر » ... والذي في دواوين اللغة : «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، و ضِئْضِي مَعَدّ ، وعُنْصُر مُضَر » . فكان يجب ان يراعي الامانة التي اوتمنها ولا يخالفها ، امّا اذا كانت نيته الاختصار ، فكان يحسن به ان يحافظ على الطريق التي اتبعها من تعمد الحذف و يجعل ثلاث نقط بدلها . فيكتب مثلاً هكذا : « الحمد لله الذي جعلنا من ... ضئضيءِ معدّ وعنصر مضر .» وعلى هذا الوجه يسلم من كل نقد ، ويُرْضي الحزبين : حزب المحافظين على سلامة النصوص . وحزب مختصر يها .

وجاء فيها : « المضوضي: المصوّت » . وليس هذا صحيحًا ، فان المُضَوْضِيءَ خاصّ بالرجال ، وكان عليه ان يقول : رجل مُضَوْضِيءٌ او : المُضَوضِيءُ من الرجال المصوّت . — ثم قوله : « المضوضى بتسهيل الهمزة الاخيرة ليس هـذا موطنه . بل مَظِنَّتُهُ في مادة (ض وض) اماهنا فكان يجب ان يقال المضوضيءُ اي بهمزة في الآخر لكنه نقل ما جاء في القاموس ومن نقل عنه ولم يتروّ كل التروّي في ما نقل . واللغوي الضليع من يميز الغثّ من السمين ، ويأخذ الحسن و ينبذ الرديء .

ومن منقولاته ، انه قال « الضُوْضُوء ايضـاً كهدهد . الاخيل . توقف فيه ابن دُريد فقال ما ادري ما صحته » اه . قلنا في هذا التعريف عدة مغامز الاول انه قال الاخيل . وللاخيل عدة معان ، منها ، الكبر ، وذو الكبر وذو الخال اي الشامة ، وطائر مشؤوم ، او هو الصرد ، او هو الشقراق ، فأيًا من هذه المعاني اراد صاحب البستان ؟ والذي يظهر من سياق عبارته أنه أراد معنى الطائر ، فكان عليه ان يقول ، الضُوْضوء ايضاً كهدهد الاخيل للطائر المعروف ، او لهذا الطائر المعروف ، او ان يقول الأخيل بمعنى الطائر حتى تنتفي سائر المعاني التي تنطوي تحت الاسم المذكور . وهذا يتجلى من كتابه نفسه اذا راجعنا معنى الاخيل . — وقوله توقف فيـه ابن دريد يصح على المعنى الذاهب الى الطائر ، امامعانيه الباقية فلم يتوقف فيهـا ابن دريد . فهذا المغمز الثـاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اما المغمز الثالث فهو : ان توقف ابن دريد في هذا المعنى ذكره صاحب حياة الحيوان ، على مانص عليه صاحب التاج . والدميري ليس بحجة في نقل الأسانيد اللغوية . والدليل ان صاحب المخصص قال في كتابه (٨ : ١٥١) [قال] ابن دريد : (الشقراق) وهو الضوْضوْ ايضاً والشِرْشِق » اه . ولم يضعف هذه الرواية ولم يجرحها ولم يطعن بها ، ولم يقل ان ابن دريد توقف في معنى الضوْضوْ .

والمغمز الرابع : لو صح نسب هذا التوقف الى ابن دريد لما جازله ان يذكره في كتابه ، لانه كثيراً ماحذف الزوائد من الشروح والتفاسير والتآويل ، فكان عليه ان يسير في طريقه لا يلوي عليها ولا على أمثالها ، بل يتمسك بالمبدإ الذي عاهد نفسه عليه ليكون معجماً حاوياً لباب اللغة ، لا قشورها اوزوائدها التي تترك للمعاجم الكبرى ، كلسان العرب أوتاج العروس أو مدّ القاموس ، الى نحوها .

والمغمز الخامس انه لم يحقق شيئاً بنفسه عن لفظة الضوْضوْ وعن معناها الحقيقي ، والذي ظهر لنا ان الكلمة لغة في اليُؤْيُؤ ، في لسان من يقلب الياء ضاداً بعد ان يجعلها جيماً (راجع لغة العرب ٦ : ٧٨٧) فهو من الصوائد الجوارح لامن البغاث . وقد نبه على هذا الامر ابن سيده في مخصصه . فليراجع (في ٨ : ١٥١ وفي عدة مواطن بعد تلك الصفحة) .

وجاء في تلك الصفحة الاولى (ضَوُلَ الرجل ضُؤُولةً وضَآلة ، صغر وضعف ...) قلنا : والذي في لسان العرب (ابو منصور ، ضَوُلَ الرجل يضؤُل ضآلةً وضُؤُولة ، اذا قال رأيه . وضَوُلَ ضآلة ، اذا صغُر) اه . فانظر كيف خلط مصدراً بمصدر ، ومعنىً بمعنىً ، ومبنىً بمبنىً .

وقال : « يقال (ماعليك فيه ضُؤُولة) اي صَغَار وضعف » اه . وهذا كلام لاغبار عليه . والذي عهدناه في هذا الديوان ان يفسر الصعب من الكلم بالفاظ سهلة يفهمها الجميع . فقوله صغار ، عوض (مذلة) التي استعملها سائر اللغويين ، من باب وضع الشيء في غير موضعه .

* * *

فتحنا النقاباً بعد الصفحة الاولى من هذا (الكنز الثمين) الصفحة ٤٠٤ فرأيناه يقول فيها « الضِرْيِس بالكسر وفتح الياء طائر يقال له الطيهوج وهو المعروف بالحجل » اه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فكم من غلط في هذه العبارة الصغيرة ! — واول هذه الاوهام انه ضبط الضريس ضبط قلم وكلمة بكسر الضاد واسكان الراء وفتح الياء نقلاً عن محيط المحيط ، بحر الاغلاط وهاوية الاوهام . والصواب وزان زُبَيْر اي بالتصغير . قال الكمال الدميري في طرغلودس « يعرفه اهل الأندلس ويسمونه الضُرَيْس (بضاد معجمة مضمومة وراء مهملة مفتوحة وياء ساكنة منقوطة اثنتين من تحتها وسين مهملة) . قال الرازي في كتاب الكافي هو عصفور صغير أصغر من جميع العصافير ، لونه رمادي واحمر وأصفر وفي جناحيه ريشة ذهبية ومنقاره رفيق ، وفي ذنبه نقط بيض متواترة ، وهو دائم الصفير واجوده السمين» اه على انه قال في رسم الضريس « الضُرَيْس : الطيهوج » فالدميري ضاد نفسه بنفسه . ولم نر في سائر كتب اللغة ذكراً للضُرَيْس في مادة ض ر س ، ولا في مادة ط ه ج ولا ط ي ه ج . والذي عليه العلماء ان الضُرَيْس تخفيف اليونانية طرغلوديس او ضرغلوديس .

هذا من جهة ضبط الكلمة . ولم نجد مؤلفاً قبل صاحب محيط المحيط ضبط اللفظ بالوجه الذي ذكره الشيخ عبد الله . على ان دوزي ذكر ان بعضهم سماه : (الضُرَّيس) بضم الضاد وتشديد الراء المفتوحة ، ويحيل النظر على القزويني . وقد رأينا ان الضبط الصحيح هو ماذكرناه عن الدميري وذكر عن ابن البيطار ان الطيهوج اي الدرّاج الا ان صاحب المعجم المنصوري يضعف هذه الرواية بقوله « وزعم ابن سمجون انه (اي الطيهوج) الضُريس ولم يصح . وقد ذكر الافرنج مايقابله عندهم في لسانهم فقال فريتغ هو الطرغلوديس (Motacilla troglodytes) وقال شَرْبُونُو إنه الضخم المنقار (Gros - bec) وذهب پاپني انه الزرزور وهو في نظر (طُرَّة) ويسميه الدرّيس ايضاً طويئر يقيم في الغابات اسمه (pajarillo) او (Triguero) .

جئنا الآن الى معنى الكلمة . فقد رأينا فيما نقلناه من الأقوال ان كثيرين منهم يقولون انه الطيهوج ، لكن الطيهوج غير الحجل ، نعم انه من جنس الحجل اوشبيه به ، لكنه ليس به . فالطيهوج هوالمسمى بلسان العلم (Tetras bosania) لا كما قال احد الادباء انه (Ommoperdrix bonhami) إذن على من يؤلف المعاجم ان يتوخى اصدق المعاني والا لم يبق فيها فائدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم فتحنا بالاتفاق ايضاً الصفحة ١٤٥١ وفيها « الطزر محركة : النبت الصبغي معرب تزر بالفارسية » اه . — قلنا : والكلمة الفارسية (تزر) تعني الآبنوت الصبغي لا النبت الصبغي ، لكن الرجل حاطب ليل ، يحطب فيما يحيط به من محيط المحيط ، فوجد العبارة التي نقلها ، فأدى النقل بامانة ماوراءها امانة . ولم يلتفت الى صحة ما كتب . على ان المعلم بطرس وجد هذا النقل في بعض دواوين اللغة فنقله ، إذ يُرى وارداً في لسان العرب . وخطأ الطبع سهل الوقوع . اما المحققون الأثبات فلم يفسروه الا بما فسرناه اعتماداً على لفظه الاصلي الفارسي .

وذكر في مادة (ط غ م) الطُغْمة . قال « الطُغْمة (وضبطها بالضم) الجماعة امرهم واحد » . فكم غلطاً في هذه الكلمات الاربع ؟ . (١) انه ضبطها بالضم وهي بالفتح . (٢) ذكرها كأنها من حرّ كلام العرب وعتيقه . وهي مولدة . نقلها بُقْطُر وأمثاله ، فدخلت كتب النصارى الدينية . (٣) لم يشر الى انها دخيلة حديثة النقل في لغتنا وهي باليونانية (Tagma) . (٤) قال (الجماعة) ولم يذكر اي "جماعة . أجماعة الناس ، ام الحيوانات ، ام الطير ام السمك . اذ لكل هذه المخلوقات جماعات وقد يكون لها شأن واحد كالحيوانات التي شأنها تقليد حركات الانسان ، وكالطير التي شأنها الطيران على وجه من الوجوه ، وكالسمك التي شأنها نوع من السباحة . فعلى كل هؤلاء البرايا تصدق الجماعة . وكان حقه ان يقول جماعة الناس ، لكن الرجل أراد ان يختصر فقصر . — وفاته ان ينقل من محيط المحيط قوله وعند الحسابيين ما بين الربوة والملك ، وهما [اي الطغمة بمعنى الجماعة من الناس و بالمعنى الحسابي] من كلام المولدين اه . فلاستعجال الشيخ عبدالله في النقل نسي ان ينقل تتمة الكلام ، واهمل قوله من كلام المولدين ، فقطع العبارة ، فجاءت الطغمة انها فصيحة في نظر من يبحث عنها في البستان .

وكلام محيط المحيط بقوله « بين الربوة والملك » أغلق على دوزي . فنقل العبارة ووضع وراءها علامة استفهام كأنه لم يفهم المراد من هذه الرُطَيْنى الغريبة — قلنا والصواب بين الربوة والملك لكن زاد المنضد من عنده ميماً فانقلب الكلام طُمْطُمانيّة .

احتجنا الى ان نطلب معنى (الطقس) اليونانية الاصل فرأيناه يقول مفسراً اياها « الطقس الطريقة . وغلب على الطريقة الدينية (نصرانية دخيلة) » اه . اما عبارة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

محيط المحيط فهي هذه « الطقس ... يطلق عند النصارى على شعائر الديانة واختلافاتها معرب تكسيس باليونانية ، ومعناها نظام وترتيب ج طقوس » اه . فانت ترى من هذا الكلام ان صاحب محيط المحيط فهم معناها أحسن من الشيخ . لان الطقس الشعيرة الدينية و « الشعيرة واحدة شعائر الحج ، وهي مناسكه وعلاماته وآثاره واعماله وكل ما جعل علماً لطاعة الله » (التاج) وهذه ما يسميه الافرنج (Rit, Rite) او (Cérémonie) اما الطريقة الدينية فهي — على ماعرفها السيد الشريف الجرجاني — (السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات» اه . ومنها الطريقة القادرية والنقشبندية والمولوية والرفاعية والبدوية والسهروردية والشاذلية والسنوسية والدسوقية الى غيرها . وهذا مايسمى عند الفرنجية (Ordre) او (Congrégation religieuse .

وهناك ادلة عديدة على انه يتعسف الامور لجهله قواعد العربية ، فتراه يقول في مادة ع م ر س « العمروس ... ج عمار يس وعمارس وهو نادر كقوله :

اولئك لم يدرين ما سَمَكُ القُرى ولا عُصَبٌ فيها رئاث العمارس » اه .

فأنت تراه يقول « وعمارس وهو نادر » لانها عبارة محيط المحيط ، والقاموس الفيروزابادي . وكأنه يجهل ان فعاليل ومفاعيل وافاعيل قد تحذف منها الياء في الشعر ، كما ان فعالل ومفاعل وافاعل قد تشبع الكسرة في الشعر فيتولد منها ياء وكل ذلك غير نادر بل كثير الوقوع في اشعارهم . ستفاض في منظوماتهم .

قال صاحب التاج في مادة (س ن د) وحديث مسند ، واحاديث مسانيد بزيادة التحتية اشباعاً ، وقد قيل انه لغة . وحكى بعضهم في مثله القياس ايضاً . كذا قاله شيخنا » اه . وقال المذكور في مادة ع ج ج « يوم معج ذو إعجاج . ورياح معاجيج اي ذات إعجاج . وضدها مهاوين . ومعجاج الريح التي تثير الغبار ، كما يصح ان تكون معاجيج جمع مُعِجّ . ومهاوين جمع مِهْوان . وقال ابن سيده يجوز ان يكون جمع مِهْوَن (التاج في هون) .

والظاهر من سرد البيت المذكور انه لم يفهم معناه ، لانه اورد رئاث العمارس التي هي جمع رئة بصورة (رئاث) بمثلثتين قبل الالف وبعدها ، ولامعنى لها يتسق اتساقاً مقبولاً في هذا البيت .!

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن غريب امره انه كثيراً مايعرف الشيء او يحاميه ، ولا يتصور حقيقة مايقوله . فقد ذكر مثلاً في مادة (ع ن ج ر) ماهذا نصابه « عنجر الرجل مدّ شفتيه وقلبهما ثم صات ، والعنجرة بالشفتين والزنجرة بالاصابع » اه . — قلنا هل تصور الاستاذ اللغوي معنى ما كتبه ؟ — لانه اذا مدّ الرجل شفتيه ، وقلبهما ، فكيف يمكنه ان يصوت بهما ؟ ان هذا الامر بعيد الوقوع . والذي ذكره الثقات من أئمة اللغة « عنجر الرجل اذا مد شفتيه وقلبهما » ولم يزيدوا « ثم صات » لان الامر غير ممكن .

ومن جهله احكام هذه اللغة قوله في مادة (ع ز ز) «العنزة، العنز» وهذا لم يرد في كلام رجل فصيح يحسن العربية ، انما يقولها بعض العوام لا غير . وكيف جاز له ان يذكرها في الفصيح وقد تعمد نبذ العامي والمولد والوحشي من ديوانه ؟

ومن غريب امره ان ليس فيه سليقة معرفة الكلام العامي اوفساد الحرف الحوشي ، فتراه يقول مثلاً في مادة (ع ن ظ ز) « عنظز عنظزة ، صات كالعنز » وليس في دواوين اللغة هذه الكلمة ، انما هي من كلام بعض العوام ، الساقط كل السقوط ، فالرجل نقلها عن محيط المحيط . وهذا نقلها عن فريتغ . ولما كانت عبارة فريتغ لاتينية وبطرس البستاني لا يفهم لغة الرومان أوّلها بالمعنى الذي ذكرناه . اما عبارة فريتغ اللاتينية فهي :

(eucurrit Saliens ut capra) ومعناها عدا قافزاً كالعنز ، فأين العدو قفزاً من صوت العنز ؟ — والذي نعلمه ان فريتغ نقل عنظز من كتاب الف ليلة وليلة الذي طبعه هتخت (في ٢ ، ٨٢) ولم يعتبر احد كلام الف ليلة وليلة فصيحاً عالياً حتى يحتج به او يؤخذ به او يدوّن في المعاجم تدوين الفصيح . نعم لو نبّه على انه من العامي لما اعترضنا عليه ، لكننا نعلم انه نفى من معجمه ما كان من هذه اللغة ولذا نعاتبه على خلط الفصيح الصحيح بالمسيخ القبيح .

وليست هذه المرة هي المرة الاولى اعتبر فيها العامي فصيحاً فقد وهم هذا الوهم عشرات ان لم يكن مئات . فقد ذكر العُنْقُب والعُنْقُوت لنباتين . والعنقد والعنقريظ لضربين من السمك وكل ذلك من كلام العوام . وهذا عن فريتغ ، وفريتغ عن بعض المستشرقين الذين قد لا يعرفون العامي من الفصيح ، فنشأت من عدم تحقيق بعضهم هذه الفوضى في اللغة . اننا لسنا من الذين لا يودون تدوين العامي ، بل بالعكس نحب ان يُقيَّد ، لكن نريد ان ينبه عليه لكي يتميز عن الفصيح ، اذ للكلام طبقات بعضها أرفع من بعض ، كما ان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للناس طبقات ، وللمعادن طبقات ، ولكل شيء طبقات ، يميز فيها الدون عن الرفيع القدر والثمين . ومن الجهة الثانية ان الشيخ عبدالله اخذ على نفسه ان لا يلتفت الى كلام العوام ، إذن لماذا عاد الى ماحجره على نفسه .

يقول في مادة (ع و ل) في ص١٦٨٣ « ماله عال ومال » وفسرها هكذا : « دعاء عليه . اي كثرت عياله وجار في حكمه » اه . ثم عاد الى هذا الكلام عينه في الصفحة التالية فقال : « ماله عال ولا مال ، اي شيء » اه . وسبب وهمه هذا انه نقل مرة عن قاموس الفيروزابادي (وهي العبارة الاولى) ومرة عن محيط المحيط (وهي العبارة الثانية) ولم ينتبه الى مافعل فخالف بين الشرحين .

ويتفق له انه لا يفهم مايكتب . فقد ذكر مثلاً في الصفحة ١٦٨٤ ماهذا نصه : « العالة ، النعامة وشبهه الظلة يستوي بها الرجل من الشجر يستتر بها من المطر » اه . فظن ان النعامة هنا الطائر المعهود . والدليل انه فصل معناها عن المعنى الذي يليها كما رأيت ، والحال ان المراد بالنعامة هنا شبه الظلة ... كما شرحها لكن جهل المعنى فوقع منه ماوقع . وقد تأثر في عمله هذا صاحب محيط المحيط فقد قال هو ايضاً ، العاله ، النعامة والظلة يستتر بها من المطر . وكان حقه ان يقول : النعامة وهي الظلة ... اوالنعامة اي الظلة ... او النعامة هي الظلة ...

وقال في مادة (ع ي هـ ن) « العيهون نبت طيب » وهي عبارة محيط المحيط وهذا النبت لا يعرفه احد لانه لاوجود له في الكون . والمعروف العرهون لا سواه .

وقال مثلاً في مادة (غ ر ر) « غرَّ الراعي يغُرُّ [كيمدّ) ... رعى ابله ... و — الرجلُ والدابةُ أكلا الغَرْغر [كسبسب] ... اه . واول هذه الاوهام انه ضبط مضارع غرَّ بالضم وهو بالفتح في هذا المعنى الذي يشير اليه . وهناك غلط آخر هو ان معنى غَرَّ يَغَرُّ (المفتوح العين) رعى إبلَهُ الغِرْغِر . فان لم يرعاها هذا النبت ، فلا يقال غَرَّها يَغَرُّها . كذا نقله صاحب التاج عن الصاغاني . — ثم انه وضع الرجلَ والدابةَ على مستوىً واحد . وكيف يقبل العاقل ان يضع نفسه موضع الدابة ؟ والصواب ان الرجل لا يأكل الغِرْغِر بل الدابة لا غير . ثم انه ضبط الغِرْغِر بفتح الغينين المعجمتين وليس للعرب نبات بهذا الاسم . والذي يعرفه السلف بهذا الرسم هو الغِرِغِر بكسرتين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والدليل على ذلك انك لا تجد في كتابه الغَرَغر بفتحتين بل بكسرتين ؟ وقوله وغر الرجل والدابة ، اكلا الغرغر ، كان حقه ان يقول : اكل الغرغر حتى لا يرجع القول الى الاثنين معاً كأنهما شُدّا في قرَن واحد ، او كأن الرجل والدابة هما مما يجمع احدهما الى آخر ، مع الواو هنا ليست واو عطف كما توهمه ، بل واو تقسيم اي انها وردت بمعنى (او) ومثل ذلك ماجاء في لسان العرب ومعجمه وغيرهما . فقد قالوا في مادة (ذ ي ل) ذالت المرأة والناقة تذيل ، هزلت وفسدت . وأذالتها اهزلتها » اه . ولم يقولوهما بالتثنية . وقالوا اذال فلان فرسه وغلامه ، اذا أهانه » اه . ولم يقولوا اذا أهانهما ترفعاً من جعل الواحد في منزلة الآخر . فهكذا يجب ان تكتب الكُتُبُ وتصنف لا كما فعل . اما هو فقد عاد وقالها وهو غلط بيّن .

ولم يفكر ابداً في ان الغِرْغِر (بكسرتين لا بفتحتين كما فعل) ، من الانبتة التي لا تأكلها البشر وان كان ذلك ممكناً . فالغِرْغِرُ على ماجاء في تاج العروس ولسان العرب عشب من عشب الربيع وهو محمود ولا ينبت الاّ في الجبل . له ورق نحو ورق الخزامى ، وزهرته خضراء . قال الراعي :

كأن القتود على قارح اطاع الربيع له الغرغر
وزباد بقعاء مولية وبهمى انابيبها تقطر

اراد اطاع زمن الربيع واحدته غرغرة » اه . وهذا العشب معروف الى يومنا هذا في ديار اليمن واسمه عند العلماء (Lavandula dentata) .

وقال مثلاً في مادة (ك ح ل) « تكحلت المرأة والارض (كذا) واكحالّتا كما كتحلتا في المعنيين » . ومثل هذا التعبير لم يرد في كتاب من الكتب ، بل لم يرد في محيط المحيط نفسه فكيف بلغ به الامر الى هذه الدرجة من تحقير المرأة حتى انه ساواها بالارض .

وقال مثلاً في المادة المذكورة « كَحْل بغير أل ، ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث » ثم قال بعد ذلك « كحل ايضاً السنة الشديدة المجدبة ويجوز فيها المنع والصرف كهند » — قلنا : فكيف منعها في الاول ثم جوزها في الآخر ، والصحيح انه يجوز فيها المنع والصرف فهي كهند . — وفي تلك المادة «ويقال» صرّحت كَحْل اذا لم يكن في السماء غيم . قال سلامة بن جندل :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قوم اذا صرّحت كحلٌ فحيُّهمُ مأوى الضريك ومأوى كل فرضوب

والفرضوب هو الفقير » . واي صلة بين خلو السماء من الغيم وبين قول جندل ؟ أفاذا غامت السماء ، كان يمنع على ذلك القوم قرى الضيف ؟ فالمعنى الذي اورد له هذا البيت هو ان كحل جاءت للدلالة على السنة الشديدة ، وهي من معاني كحل ، وليس كما قال . افتدري مافعل صاحبنا ؟ — ذكر هذا المعنى ولم يستشهد بهذا البيت الذي يزيد كلامه قوة وأسراً ، بل ترك اللفظ والمعنى بلا سند ولا عماد من النظيم .

وهناك غرابة أخرى هي انه نسي نص البيت الذي كان انشده في مادة (ص ر ح) . فقد ورد ثم بهذا الوجه شرحاً لقوله « صرحت كحل ، اي أجدبت وصارت صريحة اي خالصة في الشدة . قال سلامة بن جندل :

قوم اذا صرحت كحلٌ بيوتهمُ مأوى الضيوف ومأوى كل فرضوب »

ومن العجيب انه لا يستعمل الفاظ العصر بين الموجهة أحسن توجيه لاتخاذها ، بل يعدل الى الاعتماد على بعض مصطلحات البربر التي لا تعرف الا في ديار المغاربة او في لغتهم ، وما ذلك الا لانها وردت في تاج العروس . نعم لو ذكر جميع الحروف الواردة في التاج من أوضاع العوام التي دوّنها لما لُمناه ، لكنه ينتقي قضاً ويهمل قضيضاً . ذلك مما تأباه النفوس العربية . فقد قال مثلاً في تلك المادة « المُكْحُلَة ايضاً : الآلة يضرب بها بندق الرصاص في لغة المغاربة . يقال « هو يرمي بالمكاحل » وهو مجاز . شبهت بمكحلة العين لما فيها من السواد » اه . ولم يعزها الى قائلها وهو صاحب التاج ، هذا فضلاً عن انه لم يذكر البندقية ولا البارودة ، اللتين هما اصح استعمالاً من المكحلة التي ترادفها ، ثم من قال له ان تفسير الزبيدي هو الصحيح ؟ — نعم قد يصح وجه تأويله و يقبله بعض الادباء او المتأدبين ، لكن هناك فريقاً لا يرضى بهذا التأويل الهزيل . أما الذي يراه الغير فهو ان المكحلة سميت كذلك لان في نحو وسطها حفرة صغيرة كالعين ، تشبه المكحلة ، يوضع فيها البارود الذي يشبه الكحل بلونه ودقته .

الاب انستاس ماري الكرملي
عضو في المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net